بسم الله الرحمن الرحيم

[تفريغ المجلس ١٤١]

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهدي الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله -صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا- أما بعد:

فإن خير الكلام كلام الله تعالى، وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

كنا انتهينا في الدرس الماضي يوم أمس من الكلام على الحديث الرابع والعشرين، من الأربعين النووية وهو حديث أبي ذر جندب بن جنادة الغفاري ﷺ، وأنهينا ما يتعلق به من فوائد، بقيت هناك فائدة كنت أريد أن أشير إليها، ونسيتها ولم أذكرها، ألا وهي فائدة: تعظيم أعمال القلب.

فجاء في الحديث قوله ﷻ (يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم) وقال أيضا بعده (كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم) هذا يدل على ما للقلب من أثر في الدفع إلى العمل الصالح، وهو يوافق تمام الموافقة حديث النبي ﷺ الذي سبق معنا (ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت، صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله) فهذه فائدة أيضا واضحة وظاهرة من هذا الحديث.

ذكر النووي رحمه الله الحديث الخامس والعشرين، وهو أيضا حديث أبي ذر الغفاري ﷺ.

الحديث الخامس والعشرون

عن أبي ذَرٍّ ﷺ ، أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ قالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ (يَا رَسُولَ اللَّهِ، ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالأُجُورِ؛ يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ. قالَ: { أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ مَا تَصَدَّقُونَ، إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةً، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ،

وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ}. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ أَجْرٌ؟ قَالَ: {أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ وِزْرٌ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ}. رواه مُسلِمٌ [١٠٠٦].

[حول الحديث]

هذا الحديث يعد من أفراد مسلم، يعني يعد من أفراد مسلم، ولم يأت في البخاري من حديث أبي ذر، وإنما جاء في البخاري من حديث أبي هريرة، فحديث أبي ذر تفرد بروايته مسلم، من طريق أبي الأسود الديلي عن أبي ذر، عن النبي ﷺ، وأما البخاري فقد رواه من حديث أبي هريرة، ورواه كذلك مسلم من حديث أبي هريرة.

فهو جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ أن فقراء المهاجرين أتوا النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم، فقال (وما ذاك) قالوا: يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون ولا نتصدق، ويعتقون ولا نعتق، فقال ﷺ (أفلا أعلمكم شيئا تدركون به من سبقكم؟ وتسبقون به من بعدكم، ولا يكون أحد أفضل منكم، إلا من صنع ما صنعتم) قالوا: بلى يا رسول الله، فقال ﷺ (تسبحون وتكبرون وتحمّدون دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين مرة) قال أبو صالح وهو ذكوان السمان، ويلقب أيضا بالزيات الراوي عن أبي هريرة: فرجع فقراء المهاجرين إلى رسول الله ﷺ فقالوا: سمع إخواننا أهل الأموال بما سمعنا ففعلوا مثلنا، فقال ﷺ (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) فقال أبو صالح: فرجع فقراء المهاجرين إلى رسول الله، هذا قول أبي صالح لم يذكره عن أبي هريرة، فهذا الجزء من الحديث يعد مرسلا، لكن جاء ما يقويه، وأن أصحاب الأموال بما نصح، وبما علم النبي ﷺ به فعلوا مثله، فقال الفقراء، يا رسول الله قد سمعوا، فهم يعملون كما نعمل، فقال (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء).

[حرص الصحابة الكرام على فعل الخير]

وهذا الحديث جاء عن كثير من الصحابة كعلي، وأبي الدرداء، وابن عمر، وابن عباس رضي الله عنهم، فهذا الحديث يدل على ماكان عليه الصحابة عليهم الرضوان، من الحرص والرغبة الشديدة القوية على فعل

الخير والسعي في تحصيله، وكانوا رضي الله عنهم يصيبهم الحزن عندما يفوتهم ذلك ويتعذر عليهم، كما قال تعالى ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾التوبة، كان ﷺ إذا خرج للجهاد فمنهم من لا يجد بما يخرج، وعلى ما يخرج، فيأتون النبي ﷺ، ويسعون لعلهم يحصلون ما به يتجهزون للجهاد، ويأتون إلى النبي ﷺ ويطلبون شيئا من ذلك، (وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ) وتعطيهم من الدواب، والراحلة ما يتجهزون به (قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ) لا توجد سعة، وما عندهم ما يخرجون به للجهاد، فيتحسرون على أن فاتهم هذا الخير، وهذا العمل الصالح، وضاق عليهم أن يصلوا إلى فعله (تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ) يتولون ويرجعون، لا يجدون ما يخرجون به للجهاد، فيرجعون يبكون (حَزَنًا) الحال أنهم حزنون على ما فاتهم، وعلى أنهم (أَلَّا يَجِدُوا۟) الجدة بمعنى الغنى، الواجد من يجد مالا ويكون غنيا، وفي الحديث قوله ﷺ (لي الواجد ظلم)[1] يفسره الرواية الأخرى (مطل الغني)[2] فالواجد هو الغني، (أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ)، فهكذا كان الصحابة الكرام عليهم الرضوان.

[باب الصدقات واسع]

(أنا ناسا من أصحاب النبي ﷺ قالوا للنبي ﷺ: ذهب أهل الدثور بالأجور) الدثور هي الأموال، فهؤلاء أخذوا الأجور لم؟ لأنهم يفعلون ما لا نفعل، أما الصلاة فنصلي ويصلون، أما الصيام فنصوم ويصومون، ولكن هم يتصدون ونحن لا نتصدق، هم يعتقون ونحن لا نعتق، هم -كما جاء في بعض الروايات- يعتمرون ونحن لا نعتمر، وكذلك يقال يحجون، يعني الأعمال التي تستدعي مالا يفعلها الأغنياء، ويعجز عنها الفقراء، فظنوا أن ليس ثمة صدقة إلا ماكان بالمال، فأرشدهم النبي ﷺ إلى كثير من الصدقات مما يقدرون عليه، فباب الصدقات واسع وكثير، ولا ينحصر، ولا يُعد، ما من معروف إلا وهو يعدّ صدقة

[1] أخرجه البخاري معلقاً بصيغة التضعيف قبل حديث (٢٤٠١)، وأخرجه موصولاً أبو داود (٣٦٢٨)، والنسائي (٤٦٨٩)، وابن ماجه (٢٤٢٧)، وأحمد (١٧٩٤٦).
[2] أخرجه الترمذي (١٣٠٩)، وابن ماجه (٢٤٠٤)، وأحمد (٥٣٩٥).

من الصدقات، فما ظنه هؤلاء رضي الله عنهم من كون الصدقة لا تكون إلا بالمال، وهم عاجزون عن ذلك، فأخبرهم النبي ﷺ بجميع أنواع فعل الصدقات.

ولهذا من فقه الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ أن جعل بين هذا الحديث حديثا آخر، وهو قوله ﷺ (كل سلامى من ابن آدم صدقة)[1]، (كل يوم تطلع فيه الشمس تصلح بين اثنين صدقة) وهو الحديث الذي سيأتينا بعد هذا، (وتأمر بالمعروف صدقة، ونهى عن المنكر صدقة، وتعدل بين اثنين صدقة، وتعين الرجل في دابته تحمل له متاع عليها صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة)[2] فالصدقات كثيرة، فليست فقط في المال.

فدلهم ﷺ على هذا الباب العظيم، فالصدقات يستطيعها كل الناس، إلا أن هذه الصدقات تختلف من نوع إلى آخر، ولهذا فتطلق على الصدقة على كل أنواع المعروف والإحسان، (كل معروف صدقة) كما جاء في لفظ الحديث.

[تصدق الله على عباده]

بل إن الله ﷻ تصدق على عباده كثيرا من الصدقات، ففي صلاة القصر كما جاء في الحديث، فلمَ نقصّر وقد أمنّا؟ لأن الآية فيها قوله ﷻ ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا..﴿١٠١﴾﴾ النساء، فقال يعلى بن أمية الضمري لعمر ﷺ، فلم نقصّر وقد أمنّا؟ قال (تعجبتُ ممن تعجبتَ منه فسألت النبي ﷺ، فقال "صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته")[3] وجاء أيضا في الحديث أن من كان له صلاة بالليل فنام عليها كان نومه صدقة من الله تصدق بها عليكم وكتب الله له أجر صلاته، أي من الليل.

[أقسام الصدقة]

فقال إذن (**ويتصدقون بفضول أموالهم**) الصدقة على قسمين: صدقة المال، وصدقة بغير المال.

---

[1] أخرجه مسلم (٧٢٠)، وأبو داود (١٢٨٥)، وأحمد (٢١٤٧٥).
[2] أخرجه البخاري (٢٨٩١)، ومسلم (١٠٠٩).
[3] أخرجه مسلم (٦٨٦)، وأبو داود (١١٩٩)، والترمذي (٣٠٣٤)، والنسائي (١٤٣٣)، وابن ماجه (١٠٦٥)، وأحمد (١٧٤).

١= أما الصدقة بالمال فأمرها واضح، والمال كل ما له قيمة، وكل مُتقوَّم يعتبر مالا، والصدقة بالمال على قسمين: منها الصدقة الواجبة، ومنها صدقة التطوع:

أ= فالواجبة لها أحكامها، وتذكر في باب الفقه، كالزكاة الفريضة، زكاة الأموال، والأنعام، والذهب والفضة، والزروع، وكزكاة الفطر، هذه يطلق عليها الزكاة، وتطلق عليها الصدقة، أو صدقة الفريضة.

ب= وفي المقابل صدقة التطوع، وهي النافلة بما طابت به نفس الإنسان.

فهذه الصدقة بالمال.

٢= أما الصدقة بغير المال فهي أيضا على قسمين:

أ= قسم متعدٍ صدقة يكون نفعها لصاحبها ولغيره، فاجرها ونفعها يتعدى صاحبها إلى غيره، وهذا كل ما كان فيه نفع للنفس وللغير، كالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله ﷻ والنصيحة، وتعليم العلم، وإقراء القرآن، ونصح الناس، وإرشادهم إلى الخير، وإزالة الأذى عن الطريق، والسعي في إصلاح ذات البين، وجلب النفع للناس، وفي دفع الضرر عنهم، والدعاء للمسلمين والاستغفار لهم، كل هذا يعد من الصدقات التي هي تعد صدقة متعدية، أي أن نفعها يصل إلى غيرك.

فإذا علّمت العلم فهذه صدقة، إذا دعوت إلى الله أيضا، إذا أمرت بمعروف، نهيت عن منكر، أزلت الأذى عن الطريق، أصلحت بين اثنين، أعنت الإنسان على متاعه، أعنته في دابته، قدمت له عونا، علّمت شيئا، كل هذا يعد من الصدقات المتعدية، أي التي يصل أجرها إلى غيرك. ومن ذلك كفّ الأذى ففي الصحيحين من حديث أبي ذر قال: قلت يا رسول الله أي الأعمال أفضل، قال (الإيمان والجهاد في سبيل الله) قلت: أي الرقاب أفضل، قال (أنفسها عند أهلها، وأكثرها ثمنا) قلت: فإن لم أفعل -يعني ما استطعت وعجزت عن الجهاد والصدقة بما هو غالي الثمن- قال (تعين صانعا أو تصنع لأخرق) -تعين الصانع في صنعته، أو تصنع الأخرق الذي لا يعرف، إنسان يحتاج إلى شيء يصلحه ولكنه لا يعرف، فتعينه- قلت: يا رسول الله أرأيت إن ضعفت عن بعض العمل؟ قال (تكف شرك عن الناس فإنها صدقة)[١] والحديث في الصحيحين.

[١] أخرجه البخاري (٢٥١٨)، ومسلم (٨٤).

وفي حديث آخر نحو هذا اللفظ، وتدرج الرجل مع النبي ﷺ في كل مرة يقول له: هذا من الأعمال الفاضلة، فيقول: فإن لم أستطع؟ فإن لم أستطع؟ قال -في آخر الحديث- (لا تريد أن تبقي على نفسك بابا من العمل) أو كما قال ﷺ، قال (كفّ لسانك عن الناس)، آخر شيء ذكره، فهذا آخر ما يُذكر وأقل ما تستطيع أن تعمله، وهو يعد أيضا من الصدقات، ومثل ذلك رفع الأذى من الطريق، هداية الطريق - يعني ترشد الإنسان في الطريق، إنسان في وسط المدينة لا يدري المحل الذي يبحث عنه، فترشده، وتبين له الطريق الفلاني، إعانة الضعيف بقوتك، بعلمك، تعين الأخرق برأيك، تعين السفيه أو المعتوه، أو الذي هو ناقص الفهم، بمشورتك، وإرشادك، تزيل الهم عن المهموم، والغم عن المغموم، وهكذا كلّ هذه من أنواع الصدقات، حتى ما تعين به بيدك، وتسير مع أخيك لقضاء حاجته بقدميك، كل هذا يعد من أنواع الصدقة.

فهذه من الصدقات التي هي صدقات متعدية.

ب= القسم الثاني ماكان من الصدقات القاصرة اللازمة أي غير المتعدية، وهذه ماكان نفعها لصاحبها قاصرة عليه، كالتكبير، والتسبيح، والتحميد، والتهليل، والاستغفار، والمشي إلى المسجد، والصيام، والحج، والعمرة، وغير ذلك من الأعمال الفاضلة، فهذه أيضا تعدّ من الصدقات، وأجرها قاصر على صاحبه، وهو من الصدقات العظيمة خاصة ذكر الله ﷻ.

[كيف تتعدى الصدقات اللازمات]

وهذه الصدقات وإن كانت قاصرة على النفس لكن قد يستطيع الإنسان أن يجعلها متعدية لغيره، وذلك بأن يكون في بعض الأحيان في طريقة أدائه لها ما يحث به غيره على فعلها، ولهذا كان السر بالقرآن كالسر بالصدقة، والجهر بالقرآن كالجهر بالصدقة، ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾﴾ البقرة، فالأفضل الإسرار بالصدقة، والإسرار بالقرآن، والإسرار بالأعمال الصالحة، ولكن إذا كان في إظهارها دعوة الناس إليها فيكون عند ذلك الأفضل بيانها، وفي الحديث أن النبي ﷺ لما أتى المدينة أعراب عليهم نمار مخرّقة فقام ﷺ يعظ الناس ويحث على الصدقة، فتفطن رجل

من الجالسين، فذهب إلى بيته وأتى بصاع من طعام، فرآه الناس فتواردوا على ذلك، فجاء آخر بشيء، وهذا بشيء، وهذا بشيء، وكان ﷺ أول ما خطب يظهر الغضب على وجهه، فسُرّ رسول الله ﷺ، وظهر الفرح على وجهه فقال (من سن في الإسلام سنة حسنة كان له أجرها، وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة لا ينقص من أوزارهم شيء)[1]، فهذا أيضا يعد بفعله هذا وإن كان الأصل أن هذه الصدقة لازمة لكنه بفعله هذا، وبطريقته هذه يصير متعديا.

وفي الحديث الآخر حديث جابر عند مسلم أن رجلا جاء للنبي ﷺ وطلب منه أن يحمله، فقال رجل من الصحابة: يا رسول الله أو لا أدله على من يحمله؟ -ليس هو من يحمله ولكن يدله، فقال: دلّه عليه، ثم قال ﷺ (الدال على الخير كفاعله) يعني هذا احتاج إلى شيء، واحتاج إلى راحلة يتبلغ بها داره ومنزله، فسأل النبي ﷺ ذلك فقال (لا أجد ما أعطيك)، فكان أن قال بعض الصحابة: يا رسول الله أنا أعرف من يحمله، فهل أدله عليه؟ قال: (دلّه عليه، الدال على الخير كفاعله)[2] فقط دله على من يعينه، فجعل له النبي ﷺ أجر من فعل هذا الخير.

وهنا النبي ﷺ دل الصحابة الكرام على عمل فاضل عظيم، ألا وهو ذكر الله ﷻ، وجاءت نصوص كثيرة تدل على تفضيل الذكر، وأنه أكبر، قال ﷻ ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾ العنكبوت، وفي الحديث قوله ﷺ (سبق المفرّدون) فقيل: ومن هم يا رسول الله؟ قال (الذاكرون الله كثيرا والذاكرات)[3] وقال ﷻ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ الأحزاب، وقال ﷻ في تعداد من له أجر عظيم ﴿...وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ ..﴿٣٥﴾﴾ الأحزاب، وقال ﷺ (ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربون

---

[1] أخرجه مسلم (١١٧).
[2] أخرجه مسلم (١٨٩٣).
[3] أخرجه مسلم (٢٦٧٦)، وأحمد (٨٢٩٠)، والترمذي (٣٥٩٦).

أعناقهم، ويضربون أعناقكم) قالوا: بلى يا رسول الله، قال (ذكر الله عز وجل)[1] فهذا يدل على فضل الذكر.

وجاء أيضا في قوله ﷺ (من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحي ويميت وهو على كل شيء قدير، في اليوم مائة مرة كانت له عدل عتق عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به، إلا أحد عمل أكثر من ذلك)[2] وفي حديث آخر (من قالها عشر مرات كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل ﷺ)[3] والنصوص في فضل ذكر الله ﷻ كثيرة وكثيرة جدا، ويأتينا في هذه الأربعين مما زاده ابن رجب الحنبلي رحمه الله حديث عبد الله بن بسر أنه قال ﷺ (لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله تعالى)[4].

[تصاريف التسبيح في القرآن الكريم]

فذكر إذن النبي ﷺ في الحديث قال (أو ليس قد جعل الله لكم ما تصدّقون به، إن بكل تسبيحة صدقة) "سبحان الله" أي تنزّه الله عن النقص، والتسبيح شأنه عظيم جدا، ولأهل العلم فيه كلام كثير، والقرآن الكريم مليء بالتسبيح، ومما يدل على أهمية التسبيح أنه جاء بتصاريف كثيرة في القرآن، جاء بفعل الماضي ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ..١﴾ الحديد، وجاء بالفعل المضارع ﴿..يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ..٢٤﴾ الحشر، وجاء بفعل الأمر ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ١﴾ الأعلى، وهذه الثلاثة كثر تكرارها في كتاب الله ﷻ، وجاء بيان تسبيحه ﷻ من المكلف ومن غيره، ﴿..وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ...٤٤﴾ الإسراء، وجاء ذكر تسبيه ﷻ أولا وآخرا، وفي السماوات وفي الأرض، ومن المكلف ومن غير المكلف. وجاء ذكر التسبيح أيضا بالمصدر ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا...١﴾ الإسراء.

---

[1] أخرجه الترمذي (٣٣٧٧)، وابن ماجه (٣٧٩٠)، وأحمد (١٤٤١).
[2] أخرجه البخاري (٣٢٩٣).
[3] أخرجه البخاري (٦٤٠٤)، ومسلم (٢٦٩٣).
[4] أخرجه الترمذي (٢٣٢٩)، وأحمد (١٧٦٨٠).

والتسبيح من سبّح، وسبّح بمعنى قدّس، وبمعنى نزّه الله تبارك وتعالى عن كل نقص، ومن أسمائه ﷻ (السّبوح)، ومن أذكار الركوع (سبّوح قدوس رب الملائكة والروح)[1].

[حقيقة التكبير]

(فإن لكم بكل تسبيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة) (**الله أكبر**) والتكبير شأنه عظيم أيضا، وقد سمع النبي ﷺ الرجل يكبر في الأذان قال (الله أكبر، الله أكبر) قال (على الفطرة)[2] أو كما قال ﷺ، والفطرة تدل على ذلك (ما من مولود إلا يولد على الفطرة)[3] أي على الإسلام وقبوله له، والاستسلام لله ﷻ بالقوة، وإن كان للفعل يحتاج إلى تعليم، كما سبق ذكره في الحديث السابق، وبيناه في قول الله ﷻ (يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم) فالتكبير معناه أن الله ﷻ أكبر من كل شيء.

ولهذا قال ﷺ في الحديث (تحريمها التكبير)[4] الصلاة تحريمها التكبير، أي الشيء الذي يجعل ما بعد (الله أكبر) حراما وما قبله حلالا هو التكبير، فقبل أن تكبر يحل لك الأكل والشرب، والمشي والكلام، وغير ذلك مما أباحه الله، لكن إذا دخلت إلى الصلاة فقلت (الله أكبر) حرم عليك ذلك إلا ما هو مشروع في الصلاة، وقولك (الله أكبر) أي من كل شيء، وكلٌّ متصاغر أمام الله ﷻ، كلٌّ لا يعد شيئا أمام الله ﷻ، ولهذا ينبغي أن يستحضر الإنسان معنى هذه الكلمة، الله أكبر من الدنيا، الله أكبر من الشهوات، ومن الملذات، الله أكبر من الأموال، الله أكبر من الجاه، الله أكبر من الأهل والأقارب، الله أكبر من كل متسلط متجبر، لا أحد يُقارن مع الله ﷻ فالله أكبر من كل شيء.

ومن أسمائه (الكبير)، ومن أسمائه المتكبر ﷻ.

[حمد الله تعالى وتعظيمه]

(وبكل تحميدة صدقة) "الحمد لله" والحمد أيضا ذكر عظيم، وقد حمد الله ﷻ نفسه، وذكر حمده في كتابه، وأنه محمود في السماوات وفي الأرض، وفي كل زمان ومكان، وله الحمد في الأولى والآخرة، وله

---

[1] قال الألباني في "صحيح أبي داود" (٨٧٢) صحيح.
[2] أخرجه مسلم (٣٨٢)، والترمذي (١٦١٨) باختلاف يسير، وأحمد (١٣٨٥٢).
[3] أخرجه البخاري (٦٥٩٩، ٦٦٠٠)، ومسلم (٢٦٥٨).
[4] صححه الإمام الألباني رحمه الله انظر "إرواء الغليل" برقم (٣٠١).

الحمد في السماوات وفي الأرض، والحمد هو ذكره ﷻ بما هو له أهل من صفات الكمال، تعظيما ومحبة وخوفا وانقيادا، وعلى ما أولاه من النعم، فيُحمد الله ﷻ على صفاته، ويحمد على نِعمه، وقد ذكر الله ﷻ في كتابه واستفتح خمس سور، ذكر فيها متعلقات حمده، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾الفاتحة، حمده على ربوبيته في سورة الفاتحة، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١﴾الأنعام، حمده على فعله، وهو خلق السماوات والأرض -سورة الأنعام-، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجًا ۜ ۝١﴾الكهف، حمدٌ على فعل من أفعاله تبارك وتعالى -سورة الكهف- وهو إنزال الكتاب على عبده محمد ﷺ، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝١﴾سبأ، حمده على سعة ملكه، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ ...۝١﴾فاطر، حمده على فعل من أفعاله وهو أنه فاطر السماوات والأرض، خالقها ومبدعها وموجدها على غير مثال سابق، فهذا أيضا مقتضى ومتعلق حمده، فيُحمد ﷻ على صفاته، ويُحمد على نعمه العظيمة الكثيرة، وأعظمها بعثة رسوله محمد ﷺ.

وأمر ﷻ فقال ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٥٩﴾آل عمران، وقال ﷻ ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٨١ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٨٢﴾الصافات، جمع بين التسبيح هاهنا والحمد، (سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ) فسبح نفسه عما قاله المعتدون الظالمون الكافرون، من الوصف بالنقص (عَمَّا يَصِفُونَ) عما يصف هؤلاء ممن جعل له شريكا، أو ندا، أو كفُؤا، أو من يشركه معه ﷻ، (وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ) وسلم على المرسلين سلامة ما قالوه عليهم الصلاة والسلام، ثم حمد نفسه (وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ).

(وكل تهليلة صدقة) "أشهد أن لا إله إلا الله" لا معبود بحق إلا الله، التهليل شأنه عظيم، وهو علامة الإسلام، (أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله) سمع النبي ﷺ المؤذن يقول ذلك قال (عتق من النار) أو كما قال ﷺ.

[النصيحة صدقة]

(وأمر بالمعروف صدقة) والمعروف كل ما أحلته الشريعة، وكل ما جاز شرعا، فإنه يُعد من المعروف، المعروف ما هو معروف ومقرّ عليه شرعا، من الواجبات والمستحبات بفعلها، والمعروف إذا ذُكر على الإطلاق يشمل كل ما جاءت به الشريعة، من فعل وترك، ففعل الواجب والمستحب يعد من المعروف، وترك الحرام واجتناب المكروهات والمشتبهات يعد من المعروف.

لكن إذا قُرن بالمنكر كان المنكر في الترك، والمعروف في الفعل، (وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر) كل ما أنكرته الشريعة، من محرمات ومكروهات ومداومة عليها.

[الشهوة الحلال صدقة]

(وفي بضع أحدكم صدقة) البُضع يُكنى به على الفرج والذكر، فالإنسان إذا أتى شهوته له في ذلك أجر، يعني في هذا توجد صدقة أيضا، قالوا (يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟) يعني يقضي شهوة، كيف يؤجر عليها؟ قال ﷺ (أرأيتم لو وضعها في الحرام أكان عليه وزر؟) لو وقع في الحرام عليه الإثم؟ قالوا: نعم قال (كذلك إذا وضعها في الحلال فيكون له فيها أجر) فإذن هذا الأمر إذا كان في الحرام، فهو آثم وعليه الوزر، إذا كان في الحلال واستحضر نية القربى بأن يُعفّ نفسه، ويعف أهله، فإنه مأجور مثاب.

لكن إذا قضى شهوته من غير أن يستحضر ابتغاء وجه الله ﷻ بإعفاف نفسه وأهله، فهل يؤجر على ذلك أو لا يؤجر؟ هذا محل خلاف بين أهل العلم:

١= فبعض العلماء يقول إن في إتيانه لشهوته هذه يؤجر، سواء استحضر النية أو لا، واستدلوا ببعض الأحاديث التي فيها قوله ﷺ (نفقة الرجل على أهله صدقة)[١] فقالوا: إذن هذا يدل على أنه لا يلزم من استحضار النية، وفي حديث آخر قال ﷺ (إن نفقتك على عيالك صدقة، وإن ما تأكله امرأتك من مالك صدقة)[٢] فقالوا: إذن إتيان الشهوة كذلك صدقة، ولو لم يستحضر نية القربة.

---

[١] صحيح البخاري (٤٠٠٦).
[٢] صحيح مسلم (١٦٢٨).

٢= لكن بعض العلماء قالوا: هذا مقيد لأن هذه الألفاظ جاءت في رواية (نفقة الرجل على أهله يحتسبها صدقة)[١] وفي رواية قوله ﷺ (حتى اللقمة تضعها في في امرأتك تبتغي بذلك وجه الله صدقة) كذلك في رواية (إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها، حتى اللقمة ترفعها إلى في امرأتك) فذكر القيد ألا وهو ابتغاء وجه الله ﷻ، فهذا يدل على التقييد، تقييد هذا العمل بأن يكون قاصدا به وجه الله ﷻ، فهذا الذي يؤجر عليه.

أما إذا لم يستحضر تلك النية، فمن العلماء من قال أنه لا يؤجر على ذلك، وبعض العلماء قال يؤجر على ذلك، وفيه أحاديث فيها أن قوله ﷺ (ما من مسلم يغرس غرسا، أو يزرع زرعا فيأكل منه إنسان أو طير أو دابة إلا كان له صدقة)[٢] وفي حديث آخر (ما من مسلم يغرس غرسا إلا كان ما أكل منه صدقة وما سرق منه له صدقة، وما أكل السبع منه صدقة، وما أكلت الطير فله صدقة، ولا يرزؤه أحد إلا كان له صدقة)[٣] وفي رواية (فلا يأكل منه إنسان ولا دابة ولا طائر إلا كان له صدقة إلى يوم القيامة) رواه مسلم، والحديث السابق جاء في الصحيحين.

بل جاء أيضا في أحاديث كثيرة نحو هذا المعنى، فهي تدل كما قال بعض العلماء على أن صاحبها يأخذ الثواب والأجر، وتعد له صدقة ولو من غير قصد ولا نية، لكن قيدها بعض العلماء بالألفاظ التي ذكرناها (تبتغي بها وجه الله) وفي بعض الألفاظ (يحتسبها).

إذن لا شك إذا كان في الحرام فإنه له وزر، وإذا كان في الحلال وابتغى بها وجه الله كان له في ذلك أجر، لكن إذا فعل من غير استحضار النية فيُرجى له الأجر المطلق، وإن كان ليس كالذي يستحضر نية إعفاف نفسه، فلا شك أن هذا أفضل وأرفع درجة، ولهذا قال تبارك وتعالى ﴿۞ لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ١١٤﴾ النساء، فاستحضار النية أولى وهو أرفع درجة.

[١] أخرجه البخاري (٥٥)، ومسلم (١٠٠٢)، والترمذي (١٩٦٥)، والنسائي (٢٥٤٥)، وأحمد (٢٢٣٤٧).
[٢] أخرجه البخاري (٢٣٢٠)، ومسلم (١٥٥٣).
[٣] أخرجه مسلم (١٥٥٢).

[قياس العكس]

قوله (أرأيت إن وضعها في حرام أكان عليه وزر؟ ... فكذلك إذا وضعها في الحلال) هذا يسميه العلماء قياس العكس، أهل الأصول يسمونه قياس العكس، ومثله ما جاء في الحديث أن النبي ﷺ (من مات يشرك بالله شيئا دخل النار) حديث ابن مسعود، قال ابن مسعود (**وأنا قلت كلمة أخرى من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة**)[1]، وإن كان هذا اللفظ جاء من روايات أخرى مرفوعة إلى النبي ﷺ وهي كثيرة، فقياس العكس أن تذكر الشيء أو يذكر الحكم فعكسه يكون بعكس دليله.

والله تعالى أعلم

نكتفي بهذا والعلم عند الله.

[1] أخرجه البخاري (١٢٣٨)، ومسلم (٩٢).